هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10ه/16م

أ.مسعود بقادي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية -قسنطينة-

مقدمة:

إذا كان الاستقرار يبعث في نفسية الإنسان التمتع بملذات الحياة ومن ثمة الركون إلى الخمول(في بعض الأحيان)، فإن التنقل من مكان إلى آخر (رغم الصعاب التي تعترض الإنسان من خلاله) له متعته في اكتشاف أرض الله الواسعة وما تحتويه من مظاهر طبيعية وبشرية وعمرانية . وهذا التنقل قد يكون طواعية عن طريق الرحلة وقد يكون قسريا. عن طريق الهجرة الإجبارية ,إذ عرف الإنسان الهجرة منذ القدم , وقد كان النبي ﷺ قد حثّ أصحابه على الهجرة إلى الحبشة (الهجرة الأولى) التي تعتبر أول هجرة في الإسلام ومن جهتها عرفت دول المغرب الإسلامي عدة هجرات أبرزها الهجرة الهلالية , حوالي منتصف القرن الحادي عشر ميلادي ،و قد أضحت الهجرة بذلك ظاهرة ألفتها الشعوب لما لها من أهمية في تغير الواقع المعاش للفرد والجماعات .ولعل ما يهمنا في هذا المقام هو تلك الهجرة التي شهدها المغرب الأوسط في العصر الحديث لنخبة من العلماء مع منتصف القرن 10هـ/16م فما هو مفهوم الهجرة , وما هي أسبابها ؟ . ولماذا شملت هذه الهجرة نخبة من العلماء ؟ وإلى أين كانت وجهتهم ؟ وما هي آثار هذه الهجرة على المغرب الأوسط من جهة وعلى الأماكن المهاجر إليها من جهة ثانية . هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المقال .

تعريف الهجرة : هي الخروج من أرض إلى أخرى، والهجرة هي انتقال الأفراد من مكان إلى آخر سعيا وراء الرزق[1] ويقال هاجر: أي ترك وطنه , وهاجر من مكان كذا أو عنه أي تركه وخرج منه إلى غيره , وهاجر القوم أي هجرهم وانتقل إلى آخرين[2] ،و في التنزيل العزيز " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله

[1]- شوقي ضيف , المعجم الوسيط , مجمع اللغة العربية , ط4 , مكتبة الشرق الدولية , جمهورية مصر , 1425ه / 2004م , ص , 973

[2]- شوقي ضيف. نفس المرجع , ص ,973

ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم "[1]والإسلام يؤكد على وجوب الهجرة من بلاد الكفر , ومن بلاد الضلال , والتي يتعرض فيها الإنسان المسلم إلى الضغط العقيدي الذي يحوّل الإنسان إلى كافر أو إلى ضال أو منحرف بفعل القوى المضادة المعادية للإسلام والمسلمين الذين لا يملكون فيها حرية الحركة[2] لأداء شعائرهم الدينية .وعندما سُئل أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي عن حكم الهجرة أجاب (أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام،فريضة إلى يوم القيامة،وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة)[3] . ولما كانت الهجرة ذات أهمية في الإسلام، فقد وردت كثير من الآيات الداعية إلى وجوب الهجرة.منها قوله تعالى(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا, وأن الله لهو خير الرازقين)[4] وقوله تعالى (و من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما)[5] ،كما وردت كثير من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب الهجرة ،و منها في سنن أبي داود من حديث معاوية، قال سمعت رسول الله ﷺيقول (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وفي حديث ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإن أستنفرتم فانفروا)[6].

إن حركة الهجرة والتنقل بين البلدين المغرب الأوسط،والمغرب الأقصى كانت ظاهرة قائمة قبل القرن 10ه / 16م[7]والملفت للانتباه أن هذا التنقل شمل فئة العلماء

---

[1]- سورة الحشر , الآيتان 8و 9

[2]- عادل القاضي,الهجرة والاغتراب , تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة , ط1 , مؤسسة العارف للمطبوعات, بيروت , لبنان , 1419ه / 1999م , ص . 45

[3]- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق، د.حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1416ه/1996م، ص،25 . للتوسع أكثر حول موضوع الهجرة في الاسلام*أنظر*: حسين بن عودة العوايشة، الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين،ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان، 1423ه/ 2002 م

[4]- سورة الحج، الآية ،58

[5]- سورة النساء، الآية 100

[6] - الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي من محمد التلمساني، أسنى المتاجر، مصدر سابق، ص، 35

[7]- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10ه/16م . الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص، 111

والمثقفين خاصة – خلال القرن المذكور – إذ لم تكن ثمة عراقيل أو مشاكل حدودية تمنع تنقل هؤلاء الأشخاص من وإلى البلدين ذلك أن تنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر كتنقل سكان الجزائر بين مدينتي وهران وتلمسان وسكان المغرب بين مدينتي فاس ومكناس[1].ومن خلال ما سبق ذكره حقّ لنا أن نتساءل عن تلك الهجرة – موضوع البحث – التي شملت مجموعة من العلماء مع منتصف القرن 10هـ/16م من المغرب الأوسط، إلى المغرب الأقصى، هل كانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ؟ أم أن هذه الهجرة كانت بسبب التواجد العثماني بالمغرب الأوسط؟ وما نظرة هؤلاء العلماء إلى الأتراك من جهة ،و إلى الأسرة الحاكمة في المغرب الأقصى من جهة ثانية ؟ .من خلال تتبعنا وقراءتنا لبعض المصادر والمراجع اتضح لنا أن هجرة العلماء من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى لم تكن وليدة القرن 10هـ/16م ولم تكن وليدة سبب بعينه بل لها أسباب متعددة .

أسباب الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى :

قبل التطرق إلى الأسباب والدوافع الرئيسية لحركة الهجرة الخارجية من وإلى البلدين (المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) – موضوع البحث – تجدر الإشارة إلى أن الهجرة نوعان :

أ – هجرة قسرية: (إجبارية) تكون نتيجة لاضطرابات سياسية أو عسكرية، أوهروبا من أوضاع غير مرضية وهي ما عبّر عنها أحد مؤرخينا المعاصرين بالهجرة الدائمة[2].

ب– هجرة طوعية: وهي تلك التي تصدر بإرادة الفرد أو الجماعة، وتكون مؤقتة تنتهي بانتهاء دوافعها [3] ومن أبرز أسباب وعوامل الهجرة الخارجية من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى في الفترة موضوع الدراسة نذكر ما يلي :

---

[1]- أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد :13، 1433ه/2011م، ص، 85

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص، 423 أنظر كذلك : عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10ه/ 16م، الجزء الثاني، مرجع سابق ،صص، 111، 112 ؛كذلك، عبد المجيد قدور هجرة الأندلسيين الى المغرب الأوسط خلال ق 16 م-17 م ونتائجها الحضارية, رسالة ماجستير في التاريخ الحديث, جامعة قسنطينة , 1994

[3]- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/ 16م، الجزء الثاني، مرجع سابق ص، 113

العامل الأول: وجود فائض من العلماء (خاصة في تلمسان) التي تكونت بها طبقة كبيرة من العلماء من أُسر عدّة , كأسرة: ابن مرزوق، والمقري , والعقباني , والسنوسي , وابن زاغوا , وابن زكري , فتخرج بذلك عدد ضخم من العلماء لم ينزح إلى ريف البلاد , وهم أبناء حواضر , فآثاروا الهجرة إلى حواضر مغربية أخرى كفاس [1].

العامل الثاني:اضطراب الوضع السياسي وكثرة الفتن بسبب النزاع حول الحكم (الأسرة الزيانية) وتدخل القبائل لمناصرة هذا الفريق أو ذاك[2], ونفس الشيء يقال عن المغرب الأقصى خاصة في عهد الدولة السعدية إذ هاجر ثلاثة من الأمراء السعديين وهم (عبد الملك , وأحمد، وعبد المؤمن) والعديد من أتباعهم من المغرب إلى الجزائر بعد أن آل الحكم فيه إلى أخيهم عبد الله[3].

العامل الثالث : ولعل هذا العامل هو أكبر وأهم وأبرز ما يهمنا , باعتباره يخدم – موضوع البحث – والذي أشارت إليه كثير من المصادر والمراجع والمتمثل في تعسف العثمانيين وطغيانهم في أوائل حكمهم,خاصة سياسة العنف التي استعملها عروج في تلمسان ... إذ أنه لما استقر أمر تلمسان ونواحيها للأتراك العثمانيين في أواسط القرن 10هـ/16م , هاجرت قبائل عرب الشراقة , الذين كانوا يستوطنون منطقة تلمسان ووجدة إلى المغرب , فرارا من سلطة الأتراك عليهم , وهروبا من دفع الضرائب الباهظة إليهم , وآثروا الدخول في خدمة الأشراف السعديين[4].

كل هذه العوامل وغيرها جعلت العلماء لا يشعرون بالراحة ولا بالجو الملائم والاجتهادفي الرأي والحياد السياسي[5] ومن ثمة رفض بعض رجال الدين التواجد العثماني باعتبارهم عجم,إذ أن الوجق العثماني يظم أجناسا مختلفة اللسان والعرق

---

[1] - مسعود العيد, حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني , مجلة سرتا , عدد، 03، 1400 هـ / 1980م ,ص59

[2] - محمد السعيد قاصري , المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى(1830 – 1930), رسالة دكتوراه بإشراف د. عميراوي أحميدة , جامعة منتوري , قسنطينة , 2008 / 2009 , ص ,14

[3]- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/ 16م، الجزء الثاني، مرجع سابق ص، 112

[4]- الوفراني محمد الصغير , نزهة الحادي بأخبار ملوك –بمدينة أنجي، 1888، ص , 174 القرن الحادي ,صحح عباراته التاريخية السيد هوداس تمّ طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي، 1888، ص , 174

[5] - أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج1, عالم المعرفة،طبعة خاصة، الجزائر، 2011م ص , 424

والجغرافيا،يونانيين وألبان,وأرمن وبولونيين من أناضوليا ومن البلقان،[1] وقد صدرت بذلك فتاوى ترفضهم وتصفهم بالغرباء من أمثلة ذلك صدور فتوى من مرابط جنوب الجزائر , هو سلطان بني جلاّب في تقرت وقاضيها , والذي نظّم حملة مضادة للعثمانيين وأفتى بوجوب محاربتهم محتواها (من يقتل أحد الأتراك سوف ينال رضى من الله وهو في مرتبة من قتل ملحد أو كافر) [2] , وكان سيد تلمسان سيدي محمد بن يوسف السنوسي يؤكد أنه لا يوجد شيء أصعب من العيش مع مسيحي وتحت السلطة العثمانية فلا يتوقف عن ترديد عبارة الترك والنصارى الكل في زمرة واحدة[3] وقد عبر الأديب العالم أبو عثمان المنداسي بن عبد الله التلمساني عن ظلم وجور الأتراك بقصيدة سماها العقيقة بقوله :

أمن قـــادر بالله يحمـــي تلمسان فإن بها من قوم ياجـــوج إخوانا
بنى السد ذو القرنين للناس رحمة فياليته من شـــــوكة الترك هنانا
سمعنا حديثا صادق النقل ربه بأن لجنس الترك في الأرض إخوانا
ولكن وراء السد عمّ فسادهم وهم أفسدوا في الغرب كفرا تلمسانا[4]

و إذا كان العاملان الثاني والثالث المشار إليهما سابقا – أساسيان – في هجرة الأفراد والجماعات – خلال الفترة موضوع البحث– فان هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عنهما والمتمثلة في الهجرة لاستكمال الدراسة وطلب العلم , أو للعمل،أو لزيارة الأضرحة وكبار شيوخ الصوفية والمرابطين[5]ويضيف الأستاذ سعد الله عوامل أخرى متمثلة في كثرة مراكز التعليم,ووفرة المكتبات ووجود جامع القرويين وتقدير ولاّة المغرب لأهل العلم إضافة إلى وجود جذور تاريخية من أسر

---

[1]-Grammant(H,D, de)Histoire d' Alger sous la domination turque(1515-1830)paris,1887 p,202

[2]- سعاد لبصير, دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني , 1516 – 1830 , أعمال الملتقى العلمي الأول سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر،مايو، 2008 ص، 59، نقلا عن :
(Ch) feraud , les ben-jallab,sultans tougourt,Revue,Africaine,N°23,1879, p 140

[3]-سعاد لبصير, المقال السابق ، ص، 59، نقلا عن : Kamel,filali, l algerie,mystique,p,64

[4] - سعاد لبصير, المقال السابق ,ص, 60 , نقلا عن : أحمد بن سحنون الراشدي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ص , 54،55

[5] - عمار بن خروف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10ه/16م , الجزء الثاني , ص , 113 , 114, 115 ,116 , وهذه العوامل التي تطرق إليها الأستاذ بن خروف في هذه الصفحات تدخل ضمن الهجرة الطوعية

وأنساب وتجارة بالمغرب كما أن الجو العلمي في المغرب أفضل منه في الجزائر آنذاك,رغم تقلب الأحوال السياسية [1]

ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن معظم الفئات المهاجرة كانت الطبقة المثقفة الواعية التي كانت تريد تغيير واقعها المعاش وذلك بالإنتقال الى المغرب- خاصة فاس – للعوامل والأسباب السابق ذكرها شملت الهجرة التي سنتحدث عنها في الفترة – موضوع البحث- علماء أجلاء أغلبهم من الغرب الجزائري – خاصة تلمسان – فما هي دوافع وأسباب هذه الهجرة ؟ وهل كانت مقتصرة على فترة القرن 10هـ / 16م ؟ ولماذا كان السواد الأعظم من هؤلاء المهاجرين العلماء من تلمسان ؟

شهدت العلاقات بين المغربين الأوسط والأقصى اضطرابات واصطدامات متعددة ,وذلك منذ نهاية دولة الموحدين(منتصف القرن الثالث عشر ميلادي) واشتدّ التنافس خاصة على تلمسان في عهد الدولة السعدية لاسيما مع منتصف القرن 10هـ/16م ومردّ ذلك إلى نظرة الحكام السعديين إلى الأتراك على اعتبار أنهم عجم ذلك أن (الأتراك هم من جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وصورا للإسلام , وإن كان أكثرهم وأكثر أتباعهم ممن يصدقوا عليهم قوله ﷺ: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[2] ويعلق التمجروتي, صاحب النفحة المسكية على مسألة الخلافة العثمانية – بقوله : (و إن كانوا إنما حملوا الإمارة وقلّدوا (بضم القاف وكسر اللام) الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم مواليناً, وسادتنا الشرفاء ملوك المغرب .. وقد أجمع المسلمون على أن الخلافة لا تنعقد إلا لمن هو من صحيح قريش)[3] .

ويتحدث التمجروتي عن أفعال وخصال الأتراك السلبية , عندما مرّ بليبيا سنة 997هـ/1589م (بأنهم قد جاروا على أهلها, وأفسدوا فيها , وضيّقوا عليهم في أرضهم وديارهم وأموالهم , واستباحوا حريم المسلمين حتى أن بنت الإنسان من

---

[1]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج1، مرجع سابق، ص, 428

[2] - فهد بن محمد , السويكت , مواقف الإشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية , مجلة جامعة الملك سعود للآداب ,م (19) , 1427ه / 2006م , ص ., 183

[3] - التمجروتي علي بن محمد , النفحة المسكية في السفارة التركية , تقديم وتحقيق , عبد اللطيف الشاذلي , الرباط، ص , 135 , 2002 م . ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه عندما تسلم السلطان سليم الأول مفاتيح الكعبة من ابن شريف مكة سنة 1517م , قد كرّس دوره كخليفة وأميرا للمؤمنين (سلطة دينية وسياسية) على شرق المتوسط وكان يريد توسيع هذه السلطة على غرب المتوسط , أنظر , فهد بن محمد السويكت , مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية , مقال سابق , ص , 180

الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لا يقدر أحد أن يمنعها منهم – أعني النكاح – ولا أن ينكحها لغيرهم , إلى غير ذلك من الذل والإهانة التي هم فيها معهم[1]، ويرى ابن القاضي بأن السعديين أحق بالخلافة من الأتراك بسبب شرفهم[2] وبالمقابل فإن الأتراك العثمانيين في تركيا أو الجزائر –سواء بسواء–كانوا ينظرون إلى المغرب الأقصى على أنه امتداد للعالم الإسلامي، الذي تمكنت الدولة العثمانية من توحيده وجعله تابعا لإسطنبول، أي إلى الخلافة الإسلامية ولن يتأتى لها ذلك إلا بجعل المغرب الأقصى تابعا لهذه الخلافة التي تشرف عليها الدولة العثمانية. بل كان طموح سلاطين الدولة العثمانية أبعد من ذلك إذ أنه عندما ألقى السلطان العثماني سليم الأول نظرة على خارطة الأرض استصغرها،و قال (و هل تتسع هذه الدنيا لأكثر من ملك واحد)[3] ومما يشجع هذا الطرح هو أن الدولة العثمانية في الشمال الإفريقي رفعت لواء الجهاد وهو ما تذهب إليه الأستاذة نفيسة الذهبي بقولها : (أن العثمانيين دخلوا البحر المتوسط في البداية من خلفية دينية بدافع الجهاد لأنه واجب يلزمهم باعتبارهم حماة للإسلام . وبما أن منطقة الشمال الإفريقي مهددة من قبل النصارى فضمها للدولة أولى من تركها ،و بذلك يكون حضورهم رد فعل تلقائي ،ونوع من النجدة والإغاثة لأهل هذه المنطقة وليس نوعا من الاحتلال كما ادعى البعض)[4] .وعليه ومن خلال جدلية الخلافة بين العثمانيين والأسرة السعدية ظهر في المغرب الأوسط خاصة في تلمسان من يؤيد الأسرة السعدية ومن ثمة طلبوا ضم تلمسان إلى المغرب الأقصى بل وجّهوا نداءات

---

[1] - فهد بن محمد السويكت المقال السابق , ص , 184

[2]- ابن القاضي أحمد , المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ج1 , دراسة وتحقيق : محمد رزوق , مكتبة المعارف ص, 263, الرباط , 1986.باستيلائه على مراكش عام 1544م , اتخذ محمد الشيخ لقب الخلافة ... ومن الغريب .أن عددا من كبار الفقهاء منهم عبد الواحد الونشريسي (سنتطرق لهذه الشخصية العلمية والأدبية والدينية السامية في الصفحات المقبلة) , رفضوا بيعة السعديين ... واعتمد السعديون في مسألة البيعة على نسبهم وتراثهم الشريف أي التمسك بالقرشية والانتماء للسلالة النبوية وبالتالي أفضليتهم على منافسيهم الوطاسيين في الغرب والعثمانيين في الشرق وبأن البيعة في قريش سادة العرب وهم منهم ،أنظر :
Willis,j , r, the bayca in islam, and some a spects of the bayca in morroco s relations with the western sudan
منشور باللغة الإنجليزية ضمن أعمال مؤتمر المغرب وإفريقيا , وجنوب الصحراء في بداية العصر الحديث, معهد الدراسات الإفريقية , الرباط , 1992,ص, 221 ,راجع فهد بن محمد السويكت,مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية,مقال سابق, ص , 182

[3] - نفيسة الذهبي , الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين إستراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة , سلسلة ندوات ومناظرات رقم، 109,بعنوان العثمانيون والعالم المتوسطي , مقاربات جديدة, ط1، 2003، تنسيق , عبد الرحمان المؤذن , عبد الرحيم بنحادة ص 81

[4] - نفيسة الذهبي ,المقال السابق . ص, 89.

استغاثة إلى الأمراء السعديين[1] لكن لماذا تلمسان ؟ ولماذا فضّل معظم هؤلاء المهاجرين من العلماء مدينة فاس ؟

تلمسان: يذهب أغلب المؤرخين إلى القول بأن تلمسان قديمة النشأة ويقول عنها مارمول كارنجال أنها: ثالثة ممالك بلاد البربر ،فقد سماها القدامى موريتانيا القصرية[2] وكان يطلق عليها اسم بوماريا أي البساتين[3] وتلمسان كما جاء على لسان يحي بن خلدون (... كلمة بربرية مركبة من تلم ومعناه تجمع, وسان معناه اثنان,أي الصحراء والتل ... ويقال فيها أيضا(تلشان) وهو أيضا مركب من تل ومعناه بال، وشان أي لها شأن عظيم)[4] , ويضيف قائلا: هي مدينة عريقة في

---

[1] - كانت هناك ثلاث حملات من طرف الأسرة السعدية على تلمسان **فالحملة الأولى** سنة (957ه و958هـ / 1550م و1551م) وذلك بعد دعوة أعيان وعلماء تلمسان السلطان محمد الشيخ إلى مدينتهم وكان محمد الشيخ قد وعد أعيان وقبائل تلمسان ب القدوم إليهم وإعفائهم من الضرائب لمدة سنتين .

و **الحملة الثانية** كانت سنة (964ه / 1557م) التي تمكن فيها محمد الشيخ من دخول تلمسان بسهولة بسبب اضطرابات حدثت في الجزائر بوفاة صالح رايس , وكادت هذه الحملة أن تتمكن من ضم تلمسان إلى المغرب لأن السلطان السعدي كان في اتصالات حثيثة مع الأسبان الذين وعدوه بتقديم مساعدات مادية وبشرية لكنهم خذلوه , فاضطر إلى الانسحاب من تلمسان في نفس السنة , بعد أن جهّز حسن بن خير الدين حملة لتحرير تلمسان في نفس السنة .

أما **الحملة الثالثة** : كانت سنة (968ه / 1560م) كانت هذه الحملة لأسباب أولها انتقام السلطان عبد الله الغالب بالله لمقتل أبيه , محمد الشيخ من طرف الأتراك 29 ذي الحجة سنة 964ه , 23 أكتوبر 1557م . من طرف القائد صالح كاهية رفقة 12 تركي وثانيها فشل حملة حسن بن خير الدين على المغرب وانهزامه في معركة وادي اللبن بأحواز فاس سنة 965هـ / 1552م مما زاد في قوة وشعبية السلطان السعدي عبد الله الغالب وثالثها ثورة أهالي تلمسان ضد الحامية التركية بإيعاز من السلطان عبد الله الغالب نفسه ورابعها انشغال حسن باشا بالمشاكل الداخلية خاصة في قمعه لتمرد بني عباس ببلاد القبائل، وخامستها استغاثة سكان تلمسان خاصة العلماء بالسلطان السعدي عبد الله الغالب بالله , ورغم انسحاب القوات المغربية سريعا من تلمسان بعد عودة حسن بن خير الدين من بلاد القبائل ومواجهة الموقف الجديد في الغرب الجزائري إلا أن الجنود المغاربة بأمر من السلطان السعدي نقلوا الكثير من التلمسانيين إلى فاس بينهم طائفة هامة من علمائها وفقهائها , وسوف نتطرق لأبرز هؤلاء العلماء في الصفحات اللاحقة . لمزيد من التفاصيل عن الحملات الثلاث السابق ذكرها أنظر :

- ديكودي طوريس , تاريخ الشرفاء , ،ترجمة محمد حجي , محمد الأخضر،نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب
- الأفراني , نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي , صحح عباراته التاريخية السيد هوداس , مطبعة أنجى 1888
- عمار بن خروف , العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10م/16م الجزء الأول ؛وبالفرنسةانظر :

- August cour, l etablissements des dynadties des cherifs au maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger (1509-1830) leroux editions, paris, 1904.

[2]- مارمول كاربجال , إفريقيا ،ترجمة , محمد حجي وآخرون , ج2 ,دارنشر المعرفة، ص , 291 , 1989

[3]- لطيفة بشاري , العلاقات التجارية للمغرب الأوسط , منشورات وزارة الشؤون الدينية, 2011 , ص , 27 , نقلا عن : marcais (g): e.i. art ,Tlemcen. T.4 , nelle édition. P,08

[4] - ابن خلدون أبو زكريا يحي ابن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن, بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد , مطبعة ,بيير فونطانا الشرقية في الجزائر , طبعة1331ه/ 1903م ،ص , 09

التمدن لذيذة في الهواء , عذبة الماء كريمة المنبت [1] تمتد مملكة تلمسان على مسافة ثلاثة مائة وثمانين ميلا , من الشرق إلى الغرب , لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى المسافة خمسة وعشرين ميلا في بعض النقاط , من البحر إلى تخوم صحراء نوميديا[2].ونواة مدينة تلمسان القديمة هي قرية (أقادير) التي اختطها بنو يفرن الزناتيون في عصور قديمة وكانت هي والمناطق المجاورة منطقة التوطن لقبيلة زناتة الكبيرة ذات الفروع المتعددة , وثاني القبائل القوية بالمغرب العربي بعد صنهاجة وتليها كتامة[3]ونظرا لهذه الخصائص والمميزات استحقت أن تكون تلمسان بالفعل عاصمة للدولة الزيانية .و قد أجمع كثير من المؤرخين على أن تلمسان كانت من أهم المراكز العلمية في الجزائر خلال عدة قرون قبل أن تضطرب الأوضاع السياسية فيها اضطرابا شديدا , طوال النصف الأول من القرن 10هـ/ 16م وبانتهاء الدولة الزيانية فقدت تلمسان الكثير من أهميتها[4] ولما لم تعد عاصمة للدولة فقد فضل كثير من طلبتها وعلمائها الهجرة منها ولاسيما في سنة 968هـ / 1560م , إما إلى المغرب القريب منها أو إلى غيره من البلدان , بحثا عن الأمان والاستقرار والجو المناسب للأخذ والعطاء والجاه والوظيفة[5] وعندئذ كانت حاضرة فاس مقصد السواد الأعظم من هؤلاء العلماء المهاجرين , ترى لماذا مدينة فاس بالضبط ؟

---

[1]- ابن خلدون أبو زكريا يحي، نفس المصدر. ص , 09 , وقد وصفها لسان الدين ابن الخطيب بأنها مدينة جمعت بين الصحراء والريف وو ضعت في موضع شريف ... عبادها يدها , وكهفها كفها , وزينتها زيانها , وعينها أعيانها , هواها المقصور بها فريد وهواءها الممدود صحيح عتيد , وماؤها بارود صريد ... فواكهها عديدة الأنواع ومتاجرها فريدة الانتفاع ... ليس بها لسع العقارب إلا فيما بين الأقارب، أنظر محمد الطمار , الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج , مرجع سابق , ص , 224, نقلا عن نفح الطيب ,ج6 , ص , 337 وللإلمام بماضي تلمسان عبر التاريخ أنظر محمد بن عمرو الطمار , تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984

[2]- الوزان الحسن بن محمد الفاسي , وصف إفريقيا , ترجمة, محمد حجي , ومحمد الأخضر, ج2 , دار الغرب الإسلامي ص , 08

[3]- يحي بوعزيز, موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ج1 , دار الهدى , عين مليلة , الجزائر، ص, 62

[4]- عمار بن خروف , العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب , مرجع سابق ص , 158

[5]- عمار بن خروف ،المرجع نفسه , ص , 159

فـــــاس :تبتدئ مملكة فاس[1]من نهر أم الربيع غربا لتنتهي إلى نهر ملوية شرقا وفي الشمال يجد قسم منها بالبحر المحيط وسائرها بالبحر المتوسط , وقد أسس مدينة فاس ثائر شيعي وظلت السلطة في يد أسرته ما يقارب مائة وخمسين سنة,ولم يظهر اسم مملكة فاس إلا عندما سيطرت أسرة بني مرين واتخذوا من فاس قاعدة لملكهم وحصن دفاعهم[2] وقد كان ذلك سنة 646هـ/ 1248م. ويذكر صاحب سلوة الأنفاس بأن بداية تأسيس مدينة فاس كان صبيحة يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة إثنين وتسعين ومائة ,ورفع يديه عند إرادة الشروع في بناءها , ودعا لها ولأهلها وقال: (اللهم اجعلها دارعلم وفقه,يتلى بها كتابك وتقام فيها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالكتاب والسنة ما أبقيتها[3] وتفوق مدينة فاس سائر مدن الأرض أن بها مائين، ماء العيون، وماء الأنهار، فمياه العيون باردة في الصيف حين يراد ذلك منها لتبرد الحر , وتقطع الظمأ , وهي أيضا سخنة في الشتاء وحين يحتاج إلى ذلك منها، ومياه الأنهار بالعكس في ذلك سخنة في الصيف باردة في الشتاء فلا يزال الماء الساخن والبارد موجودين بها في الشتاء والصيف فهي بسبب ذلك معينة على الدين والطهارة والصلاة والتنظيف[4] وهناك مجموعة من الروايات حول أسباب تسمية فاس هذه التسمية[5] ومهما كثرت واختلفت الروايات في تاريخ وتسمية فاس ,

---

[1]- الوزان حسن بن محمد الفاسي, وصف افريقيا ج 1 , مصدر سابق ،ص , 192 , كذلك، روجيه لوتورنو, فاس في عصر بني مريين , ترجمة نقولا زيادة , مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر , بيروت , 1967 رجمة , نقولا زيادة، ص , 6

[2]- الوزان حسن بن محمد الفاسي , وصف إفريقيا , ج1 مصدر سابق , ص , 192 , ويقصد حسن الوزان بالثائر الشيعي , إدريس بن عبد الله ين حسن , بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي فر من العباسيين في موقعة فخ الشهيدة , وجاء إلى المغرب فبايعته قبيلة أوربة وغيرها بمدينة وليلي في جبل زرهون عام 172ه / 788م وهناك اختلاف في مؤسس مدينة فاس هل هو إدريس الأول أم ابنه إدريس الثاني ؟ والراجح هو إدريس الثاني

[3]- الكتاني محمد بن جعفر, سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس, حققها ،حفيد المؤلف الشريف محمد حزة بن علي الكتاني ج1 , الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (04) ص , 73

[4]- الفاسي ابن أبي زرع , الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس , دار المنصور للطباعة والوراقة , الرباط , 1972 – ص , 44 , وقد وصفها ابن الخطيب بأنها أم القرى وموفد نار الوغى ونار القرى ومقر العز الذي لا يهضم وكرسي الخلافة الأعظم .
انظر كذلك, عبد الهادي النازي , التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم المجلد السابع عهد بني مرين والوطالسين 1408ه / 1988م ص , 109
-A, beaumier, Roudh el-kartas, histoire des souverains du maghre (lespagne et maroc) et annales de la ville de fez, l imprimerie imperiale, paris :أنظر : بالفرنسية
أنظر كذلك : جمال أحمد طه , مدينة فاس في عصري المرابطين والموحديين , 1056 – 1269 دراسة سياسية وحضارية , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , الإسكندرية – مصر , خاصة الصفحتان 45، 46

[5]- الجزنائي علي ،جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية، الرباط،1412ه/1991م ص , 23 ،24

فإن أبرز ما اشتهرت به هذه المدينة هو ذلك المعلم الحضاري والعلمي الذي كان يؤمه عشرات الطلبة والعلماء وتخرج منه الآلاف إنه جامع القرويين , ذلك أن أقدم حاضرة إسلامية بالمغرب هي فاس , وجامع القرويين فيها أقدم جامعة في العالم الإسلامي بل في العالم كله[1] . وقد وصف حسن الوزان جامع القرويين بقوله (وفي المدينة جامع عظيم يدعى جامع القرويين وهو في غاية الكبر يبلغ محيط دائرته ميل ونصف ميل,وله واحد وثلاثون بابا كلها كبيرة وعالية ... والصومعة التي يؤذن عليها عالية جدا ويحمل السقف ثمانية وثلاثون قوسا طولاوعشرون عرضا ... وفي داخل الجامع يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء والأساتذة[2] وإذا كان الفضل في تطوير الحياة الفكرية وتمتينها وتعميق جذورها , ولو ببطء في فاس بفضل جامع القرويين , إنما يرجع إلى بني مرين ... فقد كان تشجيعهم لفاس هو الذي جعل منها عاصمة الفكر في المغرب وما جاوره من جهة الشرق , وقد استمرت على ذلك مدة طويلة[3].و قد حافظت فاس على مكانتها كعاصمة لبني مرين لمدة قرنين من الزمن، ومع أواسط القرن 10هـ/16م , سيطر السعديون على المغرب وبما أنهم من أهل الجنوب فإنهم اتخذوا مراكش عاصمة لدولتهم,وظلت فاس المدينة الثانية، فكان السلاطين السعديون يقصدونها للإقامة فيها طويلا ويعنون بزخرفتها ويختارون واحدا من أقارب السلطان الأدنيين ليتولى أمورها[4].

نماذج عن هجرة علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى

بعد أن تعرضنا إلى أبرز وأهم العوامل التي دفعت بالعديد من الأفراد والجماعات إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى , سنحاول إماطة اللثام عن مجموعة من الشخصيات العلمية التي هاجرت إلى المغرب الأقصى إذ أنه ومع بداية العهد العثماني وطيلة القرن 10هـ/16م , جلبت فاس إليها معظم الفقهاء الباقين في تلمسان ونواحيها ومن العائلات التلمسانية الشهيرة التي اهتمت بالفقه , عائلة الونشريسي، والمغيلي، والمقري، والعقباني، ومعظم أفراد هذه العائلات كانوا

---

[1]- محمد حجي , جولات تاريخية ,ط1 , دار الغرب الإسلامي , 1995, ص , 238، 239

[2]- الوزان حسن بن محمد الفاسي , وصف إفريقيا , مصدر سابق ص. 224 - 225

[3]- روجيه لوتورنو , فاس في عصر بني مرينن , مرجع سابق ،ص , 168 ,169

[4] - روجيه لوتورنو. نفس المرجع. ص , 209

يترددون بين حاضرتي تلمسان وفاس[1]. وقد ظلت مشكلة الحدود هي هاجس الحكام المغاربة، غير أن ذلك لم يكن يخطر ببال شعوبهم ، خاصة العلماء والمثقفين منهم بصفة خاصة. إذ أنهم لم يتقيدوا بفكرة الحدود عبر المراحل التاريخية المختلفة ... وحتى في تلك الفترات التي وصلت فيها العلاقات السياسية إلى ذروة التوتر ,فكانوا يعتبرون الأقطار المغاربية وحدة متكاملة ... إذ كان العلماء يشكلون مدرسة واحدة يتبادلون فيها المعارف[2]، كما أن أغلب حكام المغرب(وطاسين أوسعديين) كانوا يتميزون باحترامهم للعلماء ومجالستهم, ويصطحبونهم معهم , ويستشيرونهم ذلك أنهم كانوا هم آخذين من العلم بنصيب وافر[3]. لقد جاء ابن عسكر بذكر عدد من أسماء العلماء الذين كانوا ينتمون إلى المغرب الأوسط منهم، التلمسانيون, ومنهم المليانيون والوهرانيون والقسنطينيون , لكن أغلب علماء بلاد الجزائر الذين ذكرهم ابن عسكر ينتمون إلى تلمسان بحكم الارتباطات الفكرية التي كانت تجمعهم بمدينة فاس[4]، ويجب أن نشير قبل التطرق إلى ترجمة هؤلاء العلماء بأن أسماءهم مرتبة حسب تاريخ وفاة كل واحد منهم من جهة، وكذا إدراج كل من ولد أو توفي خلال الفترة – موضوع البحث – أي القرن 10ه/16م,كما أننا حاولنا الاختصار قدر الإمكان مع الاعتماد على المصادر واللجوء إلى الإحالات بالنسبة إلى المراجع التي تطرقت لهذه الشخصيات العلمية ونبدأ ب:

1 – أحمد بن يحي الونشريسي أبو العباس التلمساني (834هـ/ 1430م – 914هـ / 1509م):هو العالم العلامة , حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة[5] الشيخ الإمام العالم العلامة المصنف الأبرع والفقيه الأكمل الأرفع , البحر

---

[1]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي ج2 , مرجع سابق , ص , 67 , كذلك ,قاصري محمد السعيد , المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى , مرجع سابق , ص , 10, 11, 12

[2]- أرزقي شويتام , المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني ,1519 -1830،ط1،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،الجزائر،2009 ص,461

[3]- عمار بن خروف , العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10ه/16م , مرجع سابق , ص , 122 , وللتوسع أكثر في ثقافة هؤلاء السلاطين , كمحمد الشيخ المهدي الذي كان يحفظ ديوان المتنبي , وكذا أحمد المنصور الذهبي , أنظر : الأفراني , نزهة الحادي , مصدر سابق , ص , 23 – 24 – 57 الفشتالي , مناهل الصفافي مآثر موالينا الشرفا،تحقيق، عبد الكريم كريم،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية،المملكة المغربية , ص , 265 / 269 / 294 .

[4]- محمد مزين , المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول , والقرنان 16م / 17م , مجلة الدراسات التاريخية , معهد التاريخ – جامعة الجزائر - , العدد 09 , 1415ه / 1995م , ص , 97

[5]- محمد بن مريم التلمساني , البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان , تحقيق محمد بن أبي شنب , منشورات السهل ص, 80 , **أنظر كذلك** : التمبوكتي احمد بابا , نيل الابتهاج بتطريز الديباج , الجزآن 1 / 2 ,

الزاخر والكوكب الباهر , حجة المغاربة على أهل الأقاليم وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عالم[1] أخذ الفقه عن أبيه الفقيه الكبير الحافظ المحصل النوازلي , وعن شيوخه التلمسانيين ... انتقل إلى فاس سنة أربع وسبعين من التاسعة[2] . له تأليف عظيم القدر في الفتاوى سماه، "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"[3] , و"الفائق في الوثائق" , و"قواعد المذهب" وغير ذلك[4] , ثم حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم عام أربع وسبعين فانتهبت داره[5]وفرّ إلى مدينة فاس , فاستوطنها[6] تخرج على يد الشيخ أبي العباس جماعة من الفقهاء ممن لازمه[7] توفي رحمه الله[8] سنة 914هـ/ 1509 م, وهي السنة التي أخذ النصارى دمّرهم الله وهران...وكان عمره نحو ثمانين سنة)[9].

2- الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس(ت: 920ه/1514م): الشيخ الفقيه العالم العلامة, الأستاذ المقرئ المتكلم الحافظ الضابط المطلع , المحقق

ط1 , إشراف وتقديم , عبد الحميد عبد الله الهدامة ,وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية منشورات كلية الدعوة الإسلامية , طرابلس , ليبيا , 1989 , ص , 135

[1]- ابن عسكر محمد الحسيني الشفشاوني , دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر , تحقيق محمد حجي , مطبوعات دار المغرب , للتأليف والترجمة والنشر , الرباط , 1397ه / 1977م ص , 47

[2]- المنجور أحمد, فهرس أحمد المنجور, تحقيق محمد حجي , مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة , الرباط 1396ه / 1976م , ص , 50

[3]- تتناول هذه الفتاوى مجموعة من الأجوبة في مختلف المسائل الشرعية، فيورد الونشريسي السؤال ثم يردفه بإجابة الفقيه الفلاني مستشهدا بالأحاديث والآيات القرآنية أنظر: أبو العباس احمد بن يحي الونشريسي , المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب , خرجه , جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي , 12 جزءا , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة، المغرب, 1401هـ / 1981م

[4]- ابن القاضي احمد المكناسي , جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس , دار المنصور للطباعة والوراقة , الرباط , 1973م , ص , 156 . وكذلك ،ابن عسكر , الدوحة , مصدر سابق, ص , 47 , كذلك ،يحي ولد سيدي أحمد , ببليوغرافيا – تلمسان , 1400 , عنوان , دار المعرفة , 2011 , ص , 100 , مخطوط إيضاح المسالك إلى قواعد مالك لأحمد بن يحي الونشريسي , عدد الصفحات من , 420 – 468 , الرقم , 115 / ك / 12 – الخزانة الحسينية (الملكية) الرباط ,

[5]- تتعلق هذه الحادثة بفتواه المتعلقة ببناء جدار وحصن على أحد المقابر المجاورة للمدينة وقد عارض الونشريسي ذلك , فنهب السلطان الزياني المتوكل داره , انظر : حساني مختار, موسوعة المدن الجزائرية ج4 , مدن الغرب , دار الحكمة , الجزائر , 2007 , ص 97/96 , كما تطرق الدكتور حساني لهذه القضية في عنصر الهجرة إلى فاس وأبرز العلماء المهاجرين في كتابة، تاريخ الدولة الزيانية , ج2 – الأحوال الاقتصادية والثقافية منشورات الحضارة , طبعة 2009م ص , 218 الى 228

[6]- التمبوكتي أحمد بابا , نيل الإبتهاج , مصدر سابق ص , 135

[7]- أحمد المنجور , فهرسة أحمد المنجور , مصدر سابق ص , 50

[8]- ابن عسكر , الدوحة , مصدر سابق ص , 48

[9]- ابن مريم , البستان , مصدر سابق , 81 , كذلك أبو القاسم الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف ج1 , ط1 , دراسة وتحقيق : خير الدين شترة , دار كردادة , للنشر والتوزيع . 1433ه/ 2012م , ص , 554 / 555 . أنظر كذلك : كمال السيد أبو مصطفى , جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي – مركز الإسكندرية للكتاب , 1996 صص ., 06/05 , كذلك سعد الله أبو القاسم , تاريخ الجزائر الثقافي ج1 , مرجع سابق ص , 123 وما بعدها .

المشارك أبو عبد الله سيدي محمد المدعو شقرون ابن أحمد بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني[1] وهو المعروف بالسيد شقرون, لأنه كان أشقر اللون أحمر العينين , جهير الصوت [2] رحل إلى فاس حيث جلس إلى التدريس فطارت شهرته وأقبل عليه جمع غفير من طلبة العلم , فأعجبوا بعلمه وسعة اطلاعه وسرعة استحضاره[3]. له العديد من المؤلفات منها،الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين[4]م بالإضافة إلى كتاب "جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان" [5]بالإضافة إلى مؤلفات أخرى منها تقريب النافع في الطرق العشر لنافع[6] وكذا تقييد على مورد الظمآن[7] وكذلك فتوى محمد شقرون لمسلمي الأندلس [8] توفي رحمة الله بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة[9].

3- أحمد بن محمد العبادي التلمساني (توفي حوالي 940ه/1533 م):هو الشيخ الإمام العالم المحقق النحرير أبو العباس أحمد بن محمد العبادي كان من العلماء الأعلام ... ورد على فاس في الدولة الوطاسية الناصرية , وقدّمه الناصر بن الشيخ الوطاسي للتدريس في جامع القرويين... فانتفع الناس بعلومه وأخذ عنه الفقه سيدي أبي محمد الهبطي ... ولقي منافسه من فقهاء فاس في ذلك الوقت لأمور

---

[1]- محمد بن جعفر الكتاني , سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماءو الصلحاء بفاس ج3 حققها ووضع فهارسها , د. الشريف محمد حزة بن علي الكتاني ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس, , ص , 353

[2]- ابن عسكر ,دوحة الناشر , مصدر سابق ص , 126

[3]- عمار هلال , العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيها بين القرنيين التاسع والعشرين الميلاديين (3 / 14ه) ديوان المطبوعات الجامعية، مرجع سابق ،ص ,118

[4]- أنظر دراسة، مخطوط الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين , لمحمد شقرون بن أبي جمعة الغراوي , مذكرة ماجستير , للطالب عبد القادر فكاير , إشراف د. جمال قنان , جامعة الجزائر , معهد التاريخ , م1995 / 1996 م

[5]- توجد منه نسختان مخطوطتان الأولى : بالمكتبة العامة بتيطوان رقم : 710 , أنظر كذلك : نفس المخطوط – دراسة وتحقيق وتعليق – أحمد جلولي البدوي , ورابح بو نار, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر

[6]- هو عبارة عن عمل في القراءات نظمها في أبيات شعرية انتهى من تأليفها سنة 899ه وهذا العمل ما يزال مخطوطا في باريس تحت رقم 4532 , ونسخة أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 4497, سعد الله أبو القاسم , تاريخ الجزائر الثقافي , ج2 , ص , 22

[7]- هو عمل في القراءات في جزء واحد , مازال مخطوطا في كتاب اللآلي الفريدة في الخزانة المصرية التيمورية بمصر تحت , رقم : 213

[8]- وهي فتوى وجهها الى مسلمي الأندلس للقيام بأحكام الإسلام سرا (خفية) , وأفتى لهم بالتظاهر بالنصرانية وتاريخ هذه الرسالة فاتح رجب 910ه / 28 نوفمبر 1504م , أنظر , ليلى الصباغ , ثورة مسلمي غرناطة , مجلة الأصالة , عدد , 27، سبتمبر,أكتوبر , سنة 1976

[9]- أحمد ابن القاضي المكناسي , جذوة الاقتباس .. مصدر سابق ص , 321 , وقد اختلف في سنة وفاته , فصاحب الدوحة يقول انه توفي في العشرة الثالثة ص126 والأستاذ عمار هلال , يحدد تاريخ وفاته ما بين 1514 م أو 1524م , المرجع السابق ص , 118

يطول شرحها, لتقدمه عليهم, وتوجه أرباب الدولة الى جهته, توفي في أوائل العشرة الرابعة , ودفن بتلمسان , رحمه الله [1]

4- ابن جيدة الوهراني أحمد بن محمد بن يحي (ت 951هـ / 1544م): هو الشيخ الفاضل العالم أبو العباس أحمد بن جيدة ... كان يدرّس علم الكلام بفاس، وكان من أهل الفضل والدين والعلم المتين[2] أخذ عن الإمام السنوسي مقدمته الصغرى ... وأخذ التصوف عن ابن تاغزوت[3] ويقول عنه أحمد المنجور في فهرسته (الشيخ الفقيه الموحّد الصالح أبي العباس أحمد بن جيدة)[4] توفي سنة 951هـ[5] الموافق لـ 1544ميلادي، وقيل أنه توفى في العشرة الرابعة بفاس رحمة الله[6].

5- علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن (871هـ - 1466م /951هـ - 1545م) هو الشيخ الفقيه الأستاذ العددي الفرضي المؤقت العروضي المتفنن المفتي الخطيب أبي الحسن علي بن موسى ابن هارون المطغري[7] وبه اشتهر المطغري بالطاء مطغرة تلمسان[8] وأخذ عنه عبد الواحد الونشريسي واليسيتني والزقاق وغيرهم[9] له مشاركة في علوم التفسير والعربية والحساب والفرائض ... انتقل إلى فاس سنة 891هـ/1486م ،فلازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث والتحقيق [10] توفي في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين . وقد ناف عن ثمانين [11].

6- الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ / 1549م):هو الفقيه العالم العلامة , البحر الفهامة , صاحب القلم الفصيح واللسان الصريح , فريد

---

[1] - ابن عسكر، دوحة الناشر, مصدر سابق , ص119

[2]- ابن عسكر , دوحة الناشر ،المصدر نفسه , ص, 136

[3]- ابن مريم البستان , مصدر سابق , ص , 80

[4]- أحمد المنجور , فهرس أحمد المنجور , تحقيق . محمد حجي , مصدر سابق، ص , 17

[5]- ابن مريم البستان , المصدر السابق ص , 80

[6]- ابن عسكر , دوحة الناشر مصدر سابق ص , 136 , أنظر كذلك الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف ج2 , مرجع سابق ص, 44 , 45 , كذلك. عمار هلال , العلماء الجزائريون في فاس في ما بين القرنيين 10 , 20 م مجلة الدارسات التاريخية , عدد 09 سنة 1995 , جامعة الجزائر , معهد التاريخ , ص , 30

[7]- أحمد المنجور , فهرس أحمد المنجور , مصدر سابق ص , 11/ 12

[8]- التمبوكتي أحمد بابا , نيل الابتهاج , مصدر سابق , ص , 345

[9]- التمبوكتي أحمد بابا,مصدر سابق , ص , 346

[10]- عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر , ط2 , مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر , بيروت , لبنان 1400ه / 1980م , ص , 305 , 306

[11]- التمبوكتي أحمد بابا, نيل الابتهاج , مصدر سابق , صص , 26 / 27

دهره وأعجوبة عصره[1] الإمام الفقيه الأستاذ النحوي الأديب الناظم الناثر الخطيب المفتي[2] صاحب العلم الصحيح واللسان الفصيح ... قاضي فاس ومفتيها , وعدل قضاة زمانه ... عارفا بالأصول والفروع مشاركا في الفنون,محققا لجميعها مع طلاقة اللسان , وحسن التعبير وسرعته , وجودة الفهم والخط والشعر،شاعرا مجيدا,لايقارعه أحد من أهل عصره ...وقد جمع له بين الخطط الثلاثة، الفتيا والقضاء والتدريس[3] ولد بفاس بعد الثمانيين وثمانمائة , أخذ (العلم) عن أبيه أبي العباس والشيخ ابن غازي والهبطي ... تولى القضاء ثمانية عشر عاما[4].من تآليفه، نظم قواعد المذهب المسمى بالنور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس, لخّص فيه كتاب إيضاح المسالك لوالده,وزادعليه زيادات رائقة...وتعليق حسن على البخاري لم يكمل,وله أزجال وموشحات[5] وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم. خرج يوم عيد ليصلي بالناس صلاة العيد فانتظر السلطان أبو العباس أحمد المريني فبطأ عليهم ولم يأت إلى أن خرج وقت الصلاة ولما وصل السلطان إلى المصلى نظر الشيخ عبد الواحد إلى الوقت , فرآه قد فات فرقي المنبر وقال:يامعشر المسلمين عظم الله أجركم في صلاة العيد , فقد عادت ظهرا , ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة وصلى بالناس الظهر وانصرف ولم يراع تغيير السلطان ولا فضيحته[6] ومما عرف به عبد الواحد الونشريسي أنه عقد صلحا بين الوطاسيين والسعديين سنة 940ه / 1534م , تم بموجبة تقسيم المغرب كما يلي : يكون مُلك السعديين من تادلا إلى السوس , ولبني وطاس من تادلا إلى المغرب الأوسط[7] وبسبب تدخله في الشؤون السياسية في المغرب مات مقتولا سنة 955هـ /1549م[8].

367- ابن عسكر , الدوحة , مصدر سابق ص, 52

[2]- أحمد المنجور , فهرس المنجور , مصدر سابق , ص , 12

[3]- محمد بن جعفر الكتاني , سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ج2 , مرجع سابق , ص , 163،162

[4]- احمد بابا التمبكتي , نيل الابتهاج بتطريز الديباج , مصدر سابق صص , 288-289

[5]- محمد بن جعفر الكتاني , سلوة الأنفاس ج2 , مرجع سابق ص , 163

[6]- ابن عسكر , الدوحة ومصدر سابق ص , 52

[7]- حساني مخطار, موسوعة المدن المغربية , ج4 , مرجع سابق ص , 99

[8]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج2 , ص , 69 . وهذا التاريخ خاطئ , أو ربما هو خطأ مطبعي والأصح هو أنه قتل سنة 955ه/ 1549م وهو ما أشار إليه ابن عسكر في دوحة الناشر, المصدر السابق , ص, 54 , وكذلك : أحمد بابا التمبوكتي , في نيل الابتهاج , مصدر سابق ص , 289

7- العقباني أحمد بن محمد أبو العباس (ت 980ه / 1572 م): هو سيدي أحمد بن محمد بن قاسم العقباني أبو العباس الفقيه [1] من فقهاء المالكية مهتم بعدة علوم من علوم عصره , ولد بتلمسان , وبها تعلم ونشأ , انتقل إلى فاس حيث جلس للتدريس بجامع القرويين [2] كان له حصة مباركة من الفقه،قدم مع الشيخ أبي العباس أحمد العبادي، والشيخ أبي عبد الله محمد شقرون وصدر للتدريس بالقرويين , وكان دونهما في إدراك العلوم[3] توفي في آخر العشرة الثامنة من القرن العاشر(980هـ / 1572 م) بفاس وسلسلة سلفه، سلسلة العلم والفضل [4].

8- أحمد بن يعقوب العبادي أبو العباس التلمساني (ت 980هـ/ 1572 م): هو أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني , أبو العباس , عالم كبير من فقهاء المالكية من أهل تلمسان وبها نشأ وتعلم [5] هذا الرجل من فحول العلماء كبير الهمّة غزير العلم , كريم السجية ... قدم على فاس عام ثمانية وستين في جملة فقهاء تلمسان لمّا رحّلهم السلطان الغالب من تلمسان حين وقعت الفتنة بينهم وبين الأتراك واستغاثوا به فأمدهم بالأجناد ونقلهم إلى فاس ... ووصله بألف مثقال ذهبا وأمر له بكساء وإقامة جليلة , وقال لا تسووه بأحد من الفقهاء فإن همته كبيرة [6] وقد أجاز صاحب دوحة الناشر في جميع مروياته [7]، واشتغل بالتدريس ثم رجع إلى تلمسان واستقر بمليانة حتى وافته المنية بها [8].

9- ابن جلال الوعزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان (908هـ- 1502 م/981 هـ -1573م): هو الشيخ الفقيه الخطيب المدرّس المفتي . أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني [9] كان مولده سنة 908هـ / ثمان وتسعمائة [10] كان إماما في علم الكلام , قدم على فاس في صدر أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف فقلّده الفتوى بمدينة فاس وتولى

---

[1]- أبو القاسم محمد الحفناوي, تعريف الخلف برجال السلف ،ج 2، مرجع سابق ،ص , 79
[2]- عمار هلال , العلماء الجزائريون في فاس , مجلة الدراسات التاريخية , مقال سابق ص , 30
[3]- ابن عسكر, الدوحة , مصدر سابق , ص , 23
[4]- ابن عسكر المصدر نفسه , ص 23، كذلك : الحفناوي , المرجع السابق ص , 79
[5]- عادل نويهض , معجم أعلام الجزائر , مرجع سابق ص , 65
[6]- ابن عسكر , دوحة الناشر , مرجع سابق ص , 118
[7]- أبو العباس بن إبراهيم , الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، ج2 , مصدر سابق ص , 244
[8]- عادل نويهض , معجم أعلام الجزائر , مرجع سابق ص , 65
[9]- ابن عسكر, دوحة الناشر مصدر سابق ص. 123
[10]- ابن مريم , البستان , مصدر سابق ص , 279

التدريس, وكان يخطب بجامع الأندلس ... ثم صار يؤم ويخطب بجامع القرويين[1] . وقد كان ابن جلال الوعزاني عارفا بالمنطق والعقائد والبيان ... وقد أخذ عن محمد بن موسى فقيه تلمسان وعن جماعة من أصحاب محمد بن يوسف السنوسي, وأحمد بن يوسف الملياني[2] تكوينه هذا جعل الكثيرين يصفونه بأنه (إمام الأئمة وحبرا من أخبار الأمة,فقد تضلع من أفانين العلوم,وشرب من صفو رحيقها المختوم , فتنافس الناس في علومه والاقتباس من مفهومه[3].

توفي سنة واحد وثمانين وتسعمائة (وطالت أيام رياسته العلمية بفاس حتى أسن وأثقله الهرم وانتفع الناس به)[4].

10- محمد شقرون الوجديجي بن هبة الله التجيني التلمساني (ت 983هـ / 1575م): هو الشيخ الفقيه الفهّامة العالم العلم العلاّمة , شيخ الفتيا وإمامها الأكبر أبو عبد الله محمد بن هبة الله المعروف بالسيد شقرون بن هبة الله [5] ووصفه أحمد المنجور بقوله (الفقيه الموحد المشارك المفتي الخطيب ... استفدت منه في العقائد والفقه والحديث والأدب وغير ذلك ...و قال لي بأنه ولد سنة ثمان وتسعمائة[6] استوطن فاسا بعد أن قدم إليها من تلمسان سنة سبع وستين وتسعمائة (967هـ/1559م) فعظّمه سلطان المغرب يومئذ (الغالب بالله) وولاه الفتوى , بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب,وكان يحضر مجلسه أعيان الفقهاء والسلطان بنفسه وانتفع الناس بعلومه[7]. وبسبب تمكنه من مذهب الإمام مالك فقد عرف بمالك الصغير[8] له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض وكان

---

[1]- ابن عسكر , دوحة الناشر . مصدر سابق ص, 123 , نلاحظ من خلال مهامه الثلاث التدريس والخطابة والفتوى مكانة هذا العالم الجليل بفاس وهذه المكانة لا يحض بها إلا من كان واسع العلم ومشهود له بذلك .

[2]- أحمد بن القاضي المكناسي , جذوة الإقتباس في ذكر من جل من الأعلام بمدينة فاس , مصدر سابق صص , 324, 325

[3]- أبو القاسم محمد الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف ج2 , مرجع سابق . ص , 410/409
أنظر كذلك, سعاد لبصير , هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516- 1830) . رسالة ماجستير إشراف كمال فيلالي , جامعة منتوري , قسنطينة، 2007 , ص , 203
أنظر كذلك : بوشنافي محمد , هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520- 1830) مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع الجزائري , عدد 04 . ديسمبر , 2009 , ص , 101

[4]- عادل نويهض , أعلام الجزائر , مرجع سابق ص , 77 , 78

[5]- ابن عسكر , دوحة الناشر , مصدر سابق , ص, 117

[6]- أحمد المنجور , فهرس أحمد المنجور , تحقيق محمد حجي , مصدر سابق , ص , 78

[7]- محمد بن جعفر الكتاني , سلوة الأنفاس , مرجع سابق ج3 , ص, 357

[8]- عادل نويهض , معجم أعلام الجزائر , مرجع سابق , ص , 188 . أنظر كذلك, بوشنافي محمد هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي , مقال سابق , ص , 102

فقيها نوازليا يقوم على ابن الحاجب أتم قيام،وكان عارفا بالأصليين والبيان والمنطق [1],توفي آخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ،عن خمس وسبعين سنة رحمه الله[2].

11- محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت: 989هـ / 1581 م):هو محمد(فتحا) المدعو الحاج بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمان بن مسعود بن عبيد الله بن محمد الشريف التلمساني[3] ولد ونشأ بتلمسان , كان فقيها عالما بمختلف العلوم ... عرف عنه شدة التدين والزهد والصلاح .... دخل فاس مع جملة الفقهاء الذين رافقوا الحملة السعدية على غرار أحمد العبادي التلمساني , الذي كان رفيقه في الرحلة فأحسن استقباله ومقامه إذ ولي الخطابة في الجامع ومنح له بيتا جميلا للإقامة[4] ظل محمد بن الحاج بن احمد بن الشريف التلمساني في فاس خمس سنوات ثم رحل الى مراكش قصد التزود بالعلم , فدرّس بها الى أن توفي سنة 989ه[5].

12- محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني) : (ت : 1001هـ/ 1592 م):هو الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ويعرف بابن الوقاد [6] وهو تلميذ ابن هبة الله شقرون [7] كان أديبا وفقيها وعارفا بالتفسير والحديث , ولد وتعلم بتلمسان[8] هاجر إلى المغرب رفقة السلطان السعدي الذي فشل في حملته ضد العثمانيين في تلمسان وكان ذلك سنة 968ه/1560 م[9], حلّ بتارودانت وولي به قضاء الجماعة حوالي ستة أشهر ثم استعفى لكونه لا يعرف البربرية التي هي لسان أهلها ... ظل يتنقل بين فاس ومكناسه ثم عاد إلى

---

[1]- أحمد بن القاضي , جذوة الاقتباس , مصدر سابق , ص , 325 .
[2]- ابن مريم , البستان , مصدر سابق , ص , 279.
[3]- السملالي , الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج5 , مصدر سابق , ص , 217 .
[4]- سعاد لبصير , هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني , مرجع سابق، ص, 239. نقلا عن :
أبو العباس بن إبراهيم السملالي , الإعلام لمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ،ج5 . ص , 357.
[5]- كمال فيلالي , هجرة علماء غريس وتلمسان الى فاس في العهد العثماني ,مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ , عدد خاص , آبريل 2008 ص, 376.
[6]- أبو القاسم الحفناوي, تعريف الخلق برجال السلف , ج2 , مرجع سابق , ص , 348 .
[7]- إبراهيم حركات , الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب , مجلة الأصالة . العدد 25 جويلية – أوت 1975. ص, 190.
[8]- عمار هلال , العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنيين 9- 20 م / 3- 14 ه , مرجع سابق , ص, 120.
[9]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 , مرجع سابق ص, 425 .

تارودانت فتولى الفتوى والخطابة ... وهو أول من أقرأ البخاري قراءة ضبط وإتقان ومن شعره في تحبيب كتاب البخاري وضرورة قراءته قوله: كتاب البخاري واضب على قـــراءتـــــه واروه فـــي الشـــدائد

فهـــو المجـــرّب تـــرياقـــــه لدفع سمـــوم الأفاعي الأســـاود[1]

وكان زاهدا في الدنيا ويحذر من مخالطة الملوك والاقتراب منهم قائلا :

كل التراب ولا تعمل لهم عملا فالشر أجمعه في ذلك العمل[2]

توفي سنة إحدى وألف (1001هـــ) بمدينة تارودانت وخلفه ولده الخطيب أبو زيد عبد الرحمان في علمه وهديه المتقدم[3].

13- محمد بن أحمد التلمساني (ت: 1018هـــ/ 1609 م) :هو الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المري الشريف التلمساني [4] خرج إلى فاس مع جملة الفقهاء وعلماء تلمسان الذين رجعوا إليها مع الحملة السعدية , فلما حل بفاس أحسن استقباله (فأحسن مقامه واستقباله لحسن علمه وفصاحة لسانه)[5] . كان فقيها صالحا يقوم على الرسالة بنقل سائر شراحها وولي الفتوى بالقرويين[6] . عرف بالتفاف الناس من حوله وإيمانهم بتصرفاته ... إذ طلب الناس منه يخرج للاستسقاء , فأخذ جميع ما عنده من الزرع وفرقه على المساكين , وقال : الآن أخرج للاستسقاء , حين صرت من جملة الفقراء , فخرج فلما كان قريبا من باب الفتوح أحد أبواب فاس والناس معه قال لهم : انتظروني حتى أرجع إليكم فلما رجع سئل عن الخبر فقال تفقدت خميرة العجين , لم أفرقها فرجعت لذلك[7] توفي عام ثمانية عشر وألف 1018هـــ[8].

14- المقري أحمد بن محمد بن يحي أبو العباس (ت: 1041هـــ /1631م) :جاء في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثاني للأستاذ سعد الله

---

[1]- سعاد لبصير , هجرة ونفي أهل العلم والدين ,مرجع سابق ,ص, 241

[2]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج1 , مرجع سابق , ص, 425

[3]- أبو القاسم الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف , ج2 , مرجع سابق ص , 349و للتعرف على شخصية ابنه أبو زبد عبد الرحمان, أنظر نفس المرجع ,صص , 198، 199

[4]- أبو القاسم الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف , ج2 , مرجع سابق ص , 352

[5]- سعاد لبصير , هجرة ونفي أهل العلم والدين , مرجع سابق ص , 243.

[6]- أبو القاسم الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف ج2 , مرجع سابق ص , 352

[7]- السملالي العباس بن إبراهيم , الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام , ج4 , مصدر سابق ,ص , 254

[8]- أبو القاسم الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف ج2 , مرجع سابق , ص , 352

حول شخصية أحمد المقري قوله،لوحاولنا أن نترجم للمقري ترجمة تقليدية,لضاق عنه مجال هذا الكتاب[1] فكيف لي أن أترجم له أنا في جزء من هذا المقال المتواضع ؟؟؟ ذلك أن علمه غزيز وحياته خصبة بالعطاء والتأليف وما كتب عنه سواء في الجزائر أو المغرب أو في المشرق لا يعدّ ولا يحصى , فهو الإمام الحبر , البحر العلامة , ذو الفنون , أبو العباس التلمساني المالكي [2] ولد بتلمسان[3] , ونشأ بها وحفظ القرآن ومنها انتقل إلى فاس سنة 1009هـ / 1600م فأخذ عن شيوخها ثم انتقل إلى مراكش فاستدعاه الخليفة المنصور السعدي وقرّبه إليه وأكرمه[4].

له العديد من المؤلفات التاريخية والأدبية والدينية[5] تعرض لفتنة [6] بالمغرب الأقصى فهاجر على إثرها إلى المشرق العربي, مصر ثم مكة التي أدى بها فريضة الحج ... وكان ينتقل ما بين مصر ومكة وبيت المقدس ودمشق إذ كان يلقى الدروس الدينية والتاريخية وعندئذ ألف كتابه الشهير (بمصر) الذي سمّاه في البداية عرف الطيب بالتعريف بالوزير ابن الخطيب [7] , ثم عدل عن هذه الشخصية إلى تسمية أخرى هي "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب , وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" [8] وقد بلغت مؤلفات المقري ثمانية وعشرين تأليفا في سنة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج2 , مرجع سابق , ص , 212

[2]- عبد الحق حميش ومحفوظ بو كراع بن ساعد , موسوعة تراجم علماء الجزائر ،علماء تلمسان وتوات , طبعة خاصة , دار زمورة للنشر والتوزيع , الجزائر . 2011 , ص , 247

[3]- معظم من كتب عن المقري , يرى بأنه ولد بتلمسان , لكن مراجع ودراسات أخرى تقول بأنه ولد بمقرة – التي تقع بين مدينتي المسيلة وبريكة , في منطقة الزاب وبالجنوب الجزائري أنظر :
أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني , معجم مشاهير المغاربة , جامعة الجزائر، 1995 . ص , 507؛كذلك ،أسماءالقاسمي الحسني , رسائل المقري , دراسة وتحقيق , دار المعرفة الدولية , للنشر والتوزيع , الجزائر , طبعة خاصة ,2011 ص 96 , 97

[4]- عمار هلال , العلماء الجزائريون بفاس , مقال سابق , مجلة الدراسات التاريخية , عدد 09 , 1995 , ص , 33

[5]- عن هذه المؤلفات انظر : أسماء القاسمي الحسني , المرجع السابق , ص , 199, 200 , 201 , 202, 203 , 204 , 205 , 206 , 207 , 208 , 209 . 2010 كذلك ،أبو القاسم الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف ،ج1 , مرجع سابق ،ص , 541

[6]- تفاصيل الفتنة أنظر : عبد الحق حميش , محفوظ بو كراع بن سعد , موسوعة تراجم .. ص, 248 , 249

[7]- أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني , معجم مشاهير المغاربة , جامعة الجزائر، 1995 , صص , 508- 509

[8]- أسماء القاسمي , رسائل المقري , مرجع سابق ص , 200

1037هـ / 1628م [1], توفي بمصر في جمادى الأخيرة 1041هـ /1631م فدفن في قرافة المجاورين قرب جامع الأزهر) [2]

إن المتتبع لمصادر تراجم الشخصيات العلمية خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي يجد عشرات العلماء الجزائريين , الذين كان لهم باع طويل في مختلف العلوم العقلية والنقلية،و الذين لم تكن وجهتهم المغرب الأقصى فقط , بل اتجهوا الى مختلف مناطق العالم الإسلامي , ونحن إذا اقتصرنا عملنا هذا على علماء تلمسان وضواحيها , خلال فترة القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي , فإننا قد قمنا بذلك إلتزاما بفترة البحث أولا , وبسبب الظرفية التاريخية التي ميّزت المرحلة ثانيا.

نتائج هجرة علماء تلمسان إلى فاس

1- ***نتائج هجرة العلماء على الجزائر***:

إن معاملة الأتراك والحروب الداخلية التي عرفتها الدولة الزيانية في أواخر أيامها وعلاقتها بالإسبان في وهران وضغط بني وطاس عليها من الغرب والعثمانيين من الشرق كل هذه العوامل وغيرها , قد جعلت (العلماء لا يشعرون بالراحة ولا بالجو الملائم والاجتهاد في الرأي والحياد السياسي) فما كان من العديد منهم إلا أن حمل أمتعته وأهله وترك البلاد جملة حتى يهدأ غبار الفتن والمعارك [3]وهذه الظروف الحرجة المليئة بالاضطرابات لم تكن لتشجّع العلماء الجزائريين (خاصة علماء تلمسان) على البقاء في وطنهم لأن من طبيعة العالم هو البحث عن جو يسوده الهدوء والاستقرار لأداء رسالته العلمية على أحسن وجه[4] , ولعل من بين الأسباب الأخرى التي دفعت بهؤلاء العلماء إلى الهجرة هو ذلك الجمود الفكري الذي عرفه المغرب الأوسط لأن العثمانيين ركزوا اهتمامهم على الجهاد البحري منذ مجيئهم إلى الجزائر مع مطلع القرن 10هـ/16م, وذلك لصد هجمات الأوربيين (الكفار) المتتالية على السواحل الجزائرية , هذا من جهة,و من جهة أخرى هو أن الأتراك كانوا أعاجم لا يتقنون لغة أهل البلد وهو ما جعلهم لا يولون

---

[1]-أسماء القاسمي, نفس المرجع , ص , 210

[2]- أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني ,معجم مشاهير المغاربة , مرجع سابق , ص , 509

[3]- ابو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج1 , مرجع سابق , ص , 424

[4]- أرزقي شويتام , العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية) , مجلة الدراسات التاريخية . جامعة الجزائر , معهد التاريخ. العدد , 13 . 2011 , ص , 85

الثقافة الاهتمام الذي تستحقه [1] , ويضيف الباحث أبو القاسم سعد الله عن الأتراك (حكام الجزائر آنذاك) أنهم في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة, كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط [2] .

إن من يبحث في نشاط الحياة الثقافية في المغرب طوال القرن 10هـ / 16م , يجد أنه كان قائما في جزء كبير منه على جهود عديدة من العلماء الجزائريين (خاصة علماء تلمسان) الذين استوطنوا المغرب إذ كانت المراكز الثقافية فيه – خاصة فاس – لا تخلوا من أحد منهم [3] , وهو ما يجعلنا نستنتج شيئا أساسيا هو تدهور الحياة الثقافية بتلمسان بسبب مغادرة هؤلاء العلماء لها,و لأن معظم العلماء والطلبة الذين هاجروا إلى فاس آثروا الاستقرار فيها بصفة نهائية فإن هجرتهم تلك كانت تترك فراغا كبيرا في المراكز التي هاجروا منها مثل تلمسان التي هاجرت منها مجموعة كبيرة، فضعف نشاطها الثقافي[4]ومن خلال حديثنا عن تلك الشخصيات العلمية التي هاجرت من تلمسان إلى المغرب في الفترة موضوع البحث، فإن كتب التراجم المعاصرة لتلك الفترة، ككتاب الدوحة، وكتاب الإعلام، وجذوة الاقتباس وغيرهم كانت تصف أولائك العلماء بأوصاف منها، العالم العلاّمة،الشيخ الفقيه، الإمام العالم المحقّق ،صاحب العلم الصحيح واللسان الفصيح ... إلى غير ذلك من الألقاب التي لم يوصفوا بها من قبيل المدح أو الإطراء ،بل نالوها عن جدارة واستحقاق بسبب شهرتهم العلمية الذائعة الصيت التي تجاوزت الآفاق، وأثبتوا مكانتهم حتى بين أقرانهم علماء المغرب الأقصى، إذ وجد بعضهم منافسة شديدة (إن لم تكن حسدا) من طرف فقهاء فاس [5]. وعندئذ

---

[1]- بوشنافي محمد , هجرة العلماء الجزائريين، مرجع سابق , ص , 99

[2]- ابو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج1 , مرجع سابق , ص , 14 . إن من يقرأ كلام سعد الله , هذا يقول بأنه قد نظر نظرة قاتمة السواد إلى التواجد العثماني بالجزائر ولكي نكون موضوعيين في عملنا ندرج ما ذكره الأستاذ سعد الله من إيجابيات للتواجد العثماني بالجزائر بقوله : أما الجانب المضيء (فهو أن العثمانيين أنقذوا بتدخلهم المغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي المؤكد وكانوا غزاة مجاهدين ... وكانوا شوكة في حلق العدو وقذى في عينه وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي ... المرجع نفسه , ص , 15

[3]- عمار بن خروف , العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب , ج2 مرجع سابق . صص , 131 , 132

[4]- عمار بن خروف ،نفس المرجع، ص، 150 .

[5]- خاصة العالم الفقيه، أحمد بن محمد العبادي الذي سبقت الاشارة اليه

يمكننا القول بأن كل عالم من هؤلاء العلماء كان بمثابة خزانة علم، ودائرة معارف .(... ففقدت البلاد بهجرتهم ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية)[1].

2- ***نتائج هجرة العلماء على المغرب الأقصى*** :

إذا كانت الهجرة من تلمسان إلى فاس وبالا على ثقافة المغرب الأوسط وتدني مستواها، فإنه بالمقابل كانت خيرا وبركة على المغرب الأقصى،لأسباب قد تبدوا للوهلة الأولى سياسية إذ يتمثل ظاهرها في إعجاب سلاطين المغرب الأقصى(وطاسيين وسعديين)بالعلماء،بينما يتمثل باطنها في كسب هؤلاء السلاطين مؤيدين لهم،خاصة من تلمسان(التي كانت تعتبر جزءا من المغرب الأقصى منذ العهد المريني)[2] إذ رحّب السلطان محمد الشيخ السعدي بوفادة محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني فقلّده الفتوى والإمامة والتدريس بجامع الأندلس ثم بجامع القرويين بفاس ... كما رحّب السلطان عبــد الله السعدي بنداء علماء تلمسان الذين استغاثوا به في أعقاب فتنة 968هــ/1560م[3] ونقلهم إلى فاس ... وأمر للعالم أحمد بن أحمد العبادي بألف مثقال ذهبا، وبكساء وإقامة جليلة، وقال لأعوانه لا تسووه بأحد من الفقهاء فإن همته كبيرة [4]

إن عناية الملوك الشرفاء بهؤلاء العلماء (ليس من تلمسان فقط) بل كذلك من تونس والأندلس ساهم كثيرا في تنشيط الحركة الثقافية بالمغرب , إذ أن (البلاط المغربي) وظّف العلماء الجزائريين لصالحه كما حدث في عهد الدولة السعدية حيث استفاد المغرب من هؤلاء العلماء في إزدهار الدراسات الإسلامية بمراكزه الحضارية مثل فاس [5] وقد ساهم العلماء الجزائريون في نشر العلم والمعرفة في

---

[1]- أبو القاسم سعد الله,تاريخ الجزائر الثقافي , ج1 , مرجع سابق , ص , 424 . يشير سعد الله بقوله هذا إلى هجرة أحمد الونشريسي، (صاحب المعيار) ونحن نعتقد جازمين أن هذا الوصف ينطبق على كل العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى في الفترة – موضوع البحث – فخسرت البلاد على إثرها موردا هاما من موارد الثقافة الجزائرية، فلو استقرت الأوضاع في الجزائر آنذاك، ولو اهتم الأتراك بالناحية الثقافية، وعاملوا الفئة المثقفة وعلى رأسهم العلماء معاملة حسنة تليق بمقامهم وبعلمهم وبنوا جامعة أو جامعات، كجامعة القرويين مثلا في تلمسان، ألم يكن ليتغير الوضع ؟ وتصبح بذلك تلمسان رائدة في المجال العلمي – الديني بالدرجة الأولى – وتشدّ إليها الرحال كما كانت تشدّ إلى جامعة القرويين والقيروان ؟؟؟؟

[2]- عمار بن خروف , العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب , ج2 مرجع سابق، ص، 122

[3]- سبقت الإشارة إليها

[4]- ابن عسكر , الدوحة , مصدر سابق , ص , 119

[5]- حساني مختار, موسوعة المدن الجزائرية , مدن المغرب , ج4 , مرجع سابق , ص , 226

المجتمع المغربي, وعملوا على تقوية روابط المودة بين الشعبين فقد كانت العلاقات الثقافية بمثابة جسور متينة تربط بين الشعبين بواسطة علماء البلدين[1] .

وبحديثنا عن نتائج هجرة علماء تلمسان إلى المغرب لابد لنا أن نعطي نتائج ملموسة عن آثار هذه الهجرة، وعن أمثلة ذلك ما قام به الشيخ العلامة محمد بن أحمد التلمساني المعروف بإبن الوقاد (إذ كان فضله كبيرا في تحبيب العربية لأهل تارودانت البربرية التي كان قد قصدها بعد هجرته من تلمسان سنة 968هـ / 1561م , ونشر بها العلوم الدينية والعلوم اللغوية المختلفة من حديث وتفسير وفقه وقواعد اللغة ... فتخرج بذلك على يده خلق كثير)[2].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن علماء المغرب الأوسط الذين هاجرو إلى المغرب الأقصى لم تكن وجهتهم فقط مدينة فاس بل هناك من قصد فاس ثم توجه إلى مدن مغربية أخرى ومن أمثلة ذلك مدينة مراكش التي ذاع صيتها , خاصة في النصف الثاني من القرن 10هـ/ 16م , بعدما أصبحت مقرا لخلافة السعديين فقصدها بعض علماء تلمسان , ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، محمد بن هبة الله المعروف بشقرون والذي سبقت الإشارة إليه (فانتفع الناس بعلومه الغزيرة وكثر الآخذون عنه من الملوك والأمراء السعديين والعلماء ومن بينهم السلطان الغالب بالله , والسلطان أحمد المنصور , والعالم ابن القاضي , والعالم والمؤرخ ابن عسكر , والعالم أحمد المنجور... وكانوا يحضرون دروسه الشائعة في الفقه والمنطق , والتفسير والبلاغة والفرائض والحساب [3], وهذه العلوم التي كان يدرسها تدل دلالة قطعية على أنه كان بالفعل مكتبة متنقلة, ذات مخزون علمي وفير, أثرى به الحياة الثقافية أيما إثراء بالمغرب الأقصى خاصة مدينة مراكش .

ولو أنني أطلقت العنان لقلمي للحديث عن مآثر كل عالم من هؤلاء العلماء الذين رحلوا أو هاجروا إلى المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م, لما

---

[1]- أرزقي شويتام , العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية) , مقال سابق , صص , 86 , 87 وهنا لابد من الإشارة الى أن انتقال العلماء لم يكن من جانب واحد فقط , أي من الجزائر الى المغرب الأقصى , بل كذلك انتقل مجموعة من العلماء المغاربة الى الجزائر – في الفترة موضوع البحث – نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : محمد التواتي وأحمد الفاسي ومحمد الفاسي , وعلي بن عبد الواحد السجلماسي ... الذين استقروا في الجزائر أو في قسنطينة أو في تلمسان , وتصدروا للتدريس فيها لمزيد من التفاصيل أنظر : عمار بن خروف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ج2 مرجع سابق , ص , 120 وما بعدها

[2]- عمار بن خروف , العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب , ج2 مرجع سابق، ص، 115

[3]- عمار بن خروف. نفس المرجع , ص , 153

استوعبت صفحات هذه الرسالة مآثرهم , ذلك أن عطاءهم جزيل وإمكانياتهم وقدراتهم العلمية لا حدّ لها ... ولعلنا نختم حديثنا عن هؤلاء العلماء بأحمد المقري الذي كان معجبا بالمغرب متوليا فيه الوظائف السياسية كالإمامة والخطابة والفتوى وهي وظائف العلماء البارزين في عهده في الجزائر أيضا إذ كان بعض سلاطين المغرب يقدمون علماء الجزائر خاصة علماء تلمسان منهم المقري لأسباب سياسية تتعلق بسياستهم من الدولة العثمانية [1]

ومعلوم أن عددا كبيرا من المغاربة تعلّق بالمقري ولم يستطيعوا مفارقته ذلك أنه عندما غادر مدينة فاس سنة 1027ه / 1617م , تاركا وراءه زوجته وابنته وخزانة كتبه متوجها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج [2] , ترجاه عدد منهم بعدم المغادرة , والبقاء بينهم , وأنشد أحدهم وهو الفقيه الكاتب أبو الحسن علي الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي قائلا :

أشمس الغـــــــرب حقا ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامـــة
وأنك قد عزمت على طلـــــوع إلى شرق سموت به علامـــة
لقـــد زلزلت منّا كـــل قـــلب بحق الله لا تقـــــم القيامـــة [3]

وعلى العموم فقد كانت العلاقات بين البلدين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى مقصورة على المستوى الشعبي ولا دخل للدوائر الرسمية فيها فهي كانت تتميز بالعفوية التلقائية , والملفت فيها للانتباه أن هناك تكاملا بين علماء البلدين فكانوا يشكلون بحق مدرسة واحدة (... فالتلميذ في الجزائر أصبح أستاذا في الحواضر المغربية,والأستاذ في المغرب أصبح تلميذا بالجزائر والعكس صحيح،و هذا يدل على تواضع علماء المغرب عامة)[4] .

إنه ومن خلال استعراضنا لهذه الوضعية الثقافية التي ميّزت البلدين،خلال هذه الفتـــرة الزمنيـــة, نستنتج أن مسألة التأثير والتأثر بين ثقافة البلدين والشعبين

---

[1]- أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي , ج2 وصص , 213 , 214

[2]- ليلى غويني , التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية,رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،إشراف د.عائشة غطاس جامعة الجزائر،2011/2010 ص , 28

[3]- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف , ج1 , المرجع السابق , ص , 542 . والحقيقة ان مغادرة احمد المقري للمغرب لم تكن تلقائية بل كانت لأسباب متعددة منها : الاضطرابات السياسية في المغرب بعد وفاة المنصور الذهبي خاصة , النزاع على السلطة بين أبنائه , كما أتهم المقري بالميل لجماعة شراكة وأضرابهم على ما كانوا عليه من الفساد بفاس , أثناء فترة حكم السلطان الشيخ , فلما رأى ذلك خاف على نفسه من أهل فاس وقال عند خروجه من فاس (دخلت كمائها وخرجت كمائها) المرجع نفسه ص , 550 .

[4]- أرزقي شويتام , العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية) ,مقال سابق , ص , 93

الجزائري والمغربي لم تكن وليدة القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي, بل تمتد جذورها إلى فترات زمنية قديمة ,و قد كان طلبة العلم هم وسيلة الاتصال بالدرجة الأولى, لم تمنعهم الاضطرابات السياسية الحاصلة في هذا البلد أو ذاك من التواصل مع بعضهم البعض.

وخلاصة القول أن الهجرة لم تكن بمعزل عما حدث من تطورات واضطرابات عاشها المغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن ال 10 هـ/ 16 م ذلك أنها كانت بدوافع تكاد تكون موضوعية , ولم تكن وجهة هؤلاء العلماء المهاجرين إلى فاس من قبيل الصدفة , بل كانت اختيارا مدروسا لأسباب متعددة أبرزها وجود تلك المنارة الحضارية التي ملأ شعاعها الحضاري والديني الآفاق بما تحتويه من مدارس ومجالس علم خاصة بجامع القرويين الذي لم يكن مقصدا للجزائريين فحسب بل من مختلف أصقاع العالم الإسلامي ممّن تتوق أنفسهم الى طلب العلم , أو التبرك بالأولياء والصالحين, ورجال التصوف إنّ هذه الهجرة من طرف علماء تلمسان وإن تركت فراغا, ساهمت فيه السياسة العثمانية في الجزائر بشكل مباشر , فإنها بمقابل ذلك كانت نعمة على المغرب الأقصى, بما ساهم به هؤلاء العلماء- ذوي السمات الفاضلة, والحاملين لمختلف العلوم الدينية – بحظ وافر في تطور وازدهار الثقافة بالمغرب الأقصى عموما, وبجامع القرويين بفاس خصوصا , طيلة فترة القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي , وربما كانت اللبنات التي وضعها هؤلاء العلماء نبراسا تهتدي به الأجيال اللاحقة , ليس في المغرب الأقصى فقط , بل في العالم الإسلامي كذلك , لأن ثقافة هؤلاء العلماء هي بالدرجة الأولى ثقافة دينية إسلامية بحتة .